المجاهد أحمد الشريف السنوسي
بين الضغوط العثمانية الألمانية والدبلوماسية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918م

د.سالم فرج عبد القادر السويدي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب/ جامعة سبها

ملخص البحث

يتناول هذا البحث وضع المجاهد أحمد الشريف، والضغوط التي مارستها عليه الدولة العثمانية وحليفتها مع بداية الحرب العالمية الأولى من جانب، والدبلوماسية التي اتبعتها السلطات البريطانية من جانب آخر في محاولة منها لإبقاء أحمد الشريف على الحياد تجاه المخطط العثماني، وعدم السماع إلى الدعوات العثمانية التي تنادي بالجهاد ضد الاحتلال البريطاني لمصر، وفي إطار هذه السياسة تغاضت السلطات البريطانية في مصر عن الإمدادات التي كانت تأتي إلى حركة الجهاد في ليبيا عبر الأراضي المصرية، ومع بداية الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918م ودخول الدولة العثمانية فيها ضد بريطانيا حرصت الأخيرة على إرسال الوفود لمقابلة أحمد الشريف، والتعبير له على احترامها لشخصه وإنها لا تتدخل في القضية الليبية لإقناعه بالبقاء على الحياد، وعدم الانجرار وراء الدعوات العثمانية التي تطالبه بالمشاركة في الحرب ضد القوات البريطانية عبر الأراضي الليبية .

ومنذ البداية كان أحمد الشريف رافضًا للمخطط العثماني، وأدرك أنه من العبث أن يفتح على نفسه وقواته المحدودة الإمكانيات حربًا جديدة، والاكتفاء بمحاربة العدو الإيطالي الذي يحتل بلاده، غير أن موقف أحمد الشريف تغير بعد أن اضطر مكرهًا للمشاركة في هذه الحرب بعد نجاح المخطط العثماني نتيجة الاعتداءات المتكررة ضد القوات البريطانية التي نفذها الضباط العثمانيون بالتعاون مع بعض الليبيين، الذين أغدقت عليهم الدولة العثمانية الكثير من الأموال.

ونتيجة لهذه التطورات تغير موقف بريطانيا تجاه أحمد الشريف، خاصة بعد مشاركته في الحملة العسكرية على القوات البريطانية في مصر عبر الأراضي الليبية والتي انتهت بالفشل، وهزيمة قواته وانسحابه بمن تبقى معه إلى الأراضي الليبية، وقد تواصلت بريطانيا مع الأمير إدريس السنوسي – الذي كلفه أحمد الشريف بتولي قيادة حركة الجهاد بعد خروجه على رأس قواته المتوجهة لمهاجمة القوات البريطانية في مصر– واتفقت مع الأمير إدريس السنوسي خلال مفاوضات الزويتينة مايو 1916م، على العديد من الأمور كان من أهمها إبعاد كل من يعكر صفو العلاقات بين الطرفين، وكان على رأس هؤلاء أحمد الشريف الذي منع من الدخول إلى المنطقة الشرقية بعد مفاوضات الزويتينة.

ونتيجة لهذه الظروف اضطر أحمد الشريف إلى مغادرة ليبيا متوجهًا إلى الدولة العثمانية التي وصلها في أواخر أغسطس 1918م، وبذلك بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياة أحمد الشريف، وعلاقته بالسلطات البريطانية من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى .

المقدمة:

يتناول موضوع هذا البحث مرحلة مهمة من مراحل تاريخ حركة الجهاد، فقد مرت خلالها بأحداث عالمية تمثلت في الحرب العالمية الأولى، التي بدأت في أوروبا وأخذت آثارها تتسع إلى أن وصلت ليبيا؛ حيث أخذت كل من ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية بالعمل على استغلال الأراضي الليبية عن طريق إعداد حملة عسكرية للهجوم على القوات البريطانية في مصر، ومحاولة اقناع قيادة حركة الجهاد بالمشاركة في هذه الحملة .

وتكمن أهمية البحث في التعرف على الضغوط التي تعرض لها المجاهد أحمد الشريف السنوسي، فهذه الضغوط منها من كان يطالبه بالاشتراك في الحملة العسكرية على القوات البريطانية في مصر، ومنها من كان يعارض فكرة المشاركة في الحملة، وتمثل الفريق الأول: المنادي بالمشاركة في الحملة في كل من رجال الدولة العثمانية، وحليفتها ألمانيا الذين تم ارسالهم إلى منطقة الحدود الليبية – المصرية، وكذلك بعض الشخصيات الليبية التي جاءت إلى منطقة الحدود مؤخرًا، وكانت هي الأخرى مدعومة من قبل الدولة العثمانية التي أغدقت عليهم بالأموال والعطايا من أجل الإسراع في الإعداد للحملة.

أما الفريق الثاني: المعارض للمشاركة في الحملة، فكان يقوده الأمير إدريس السنوسي الذي كان يطالب أحمد الشريف بالمحافظة على علاقاته القوية والمتينة مع بريطانيا، وعلى الرغم من كل هذه الضغوط فإن أحمد الشريف كان رافضًا المشاركة في الحرب، وكان متفقًا مع رأي الأمير إدريس السنوسي لإدراكه أنه من العبث أن يفتح على نفسه وقواته المحدودة الإمكانيات جبهة جيدة أكثر خطورة عليه من الإيطاليين، وهناك عدد من الأولويات كانت بطبيعة الحال ماثلة أمامه قبل أن يقدم على أي عمل من شأنه أن يترك على كاهل قواته عبئًا جديدًا، ويجعله من ثم تحت رحمة خصومه المحليين وحلفائه الانتهازيين، كما أنه كان حريصًا على أن تظل الحدود مفتوحة أمام الامدادات القادمة من مصر لصالح حركة الجهاد لضمان استمرار الجهاد ضد القوات الإيطالية.

ونهدف من خلال هذا البحث إلى معرفة الخطوات التي اتبعها أحمد الشريف في إدارة الازمة وكيفية تصرفه مع كل التحديات التي كانت تواجهه خلال تلك الفترة والتي كان أهمها موقفه من الأساليب الدبلوماسية التي اتبعتها بريطانيا من أجل حمله على التزام الحياد وعدم المشاركة في الحملة وعدم السماح للدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا باتخاذ الأراضي الليبية نقطة لانطلاق العمليات العسكرية ضدها .

وكان أخطر هذه التحديات هو وقوفه في وجه الاعتداءات المتكررة ضد القوات البريطانية التي نفذها الضباط العثمانيون بالتعاون مع بعض الليبيين، الذين أغدقت عليهم الدولة العثمانية الكثير من الأموال، والذين حاولوا عدة

مرات الزج بقوات المجاهدين في هذه الحرب على الرغم من معارضة أحمد الشريف غير أنهم استطاعوا في نهاية الأمر من تنفيذ المخطط العثماني الألماني، والزج بقوات المجاهدين في الحرب إلى جانب الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا .

وفي نهاية البحث توصلنا إلى نتيجة مهمة وهي أن أحمد الشريف قد فشل في إدارة الأزمة، على الرغم من كل الإجراءات التي اتخذها، فإن الحرب اندلعت على حدود مصر الغربية واضطر مرغمًا للمشاركة فيها، وقد أدت في نهاية الأمر إلى هزيمة قوات المجاهدين، وانسحابها إلى داخل الأراضي الليبية، وإنهاء وجود أحمد الشريف السياسي والقيادي في ليبيا مما أضطره إلى مغادرتها متوجهًا إلى الدولة العثمانية لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياة أحمد الشريف .

بداية علاقة أحمد الشريف بالإنجليز في مصر:

بعد توليه لقيادة حركة الجهاد أجرى أحمد الشريف فور وصوله إلى منطقة السلوم مباحثات مكثفة مع كبار موظفي إدارة الحدود المصرية ؛ أكد من خلالها للإنجليز على الجانب المصري أن قدومه إلى السلوم لا يقصد من ورائه إلا تنظيم أمور المجاهدين؛ بما يمكنهم من مواصلة الحرب ضد القوات الإيطالية، وبأنه لا يهدف إلى إثارة الاضطرابات في منطقة الحدود المصرية الليبية أو الاعتداء على حرمة الأراضي المصرية .

وكلف أحمد الشريف عددًا من وكلائه في مصر بإبلاغ المسؤولين الإنجليز والمصريين بحسن نواياه تجاه الإنجليز في مصر، وهو ما كانت تنتظره الحكومة البريطانية بفارغ الصبر؛ لذا فإنها أوعزت للصحف المحلية بنشر نص التصريحات التي أدلى بها وكلاء أحمد الشريف على صدر صفحاتها الأولى، والإشادة بهذا الموقف الودي تجاه الحكومة البريطانية.

وقد قامت صحيفتا المؤيد ووادي النيل بنشر تصريحات وكلاء أحمد الشريف، والتي أكدوا فيها على أنه لا أساس من الصحة للإشاعات التي ترددت حول قدوم أحمد الشريف إلى جهة السلوم من أنه يريد الاعتداء على القطر المصري، والصحيح ما جاء إلا لتفقد قوات المجاهدين المعسكرة هناك، وتأمين طرق التجارة مع مصر، وتوثيق العلاقة مع الحكومة البريطانية ، كما أشارت الصحف إلى أنه يمكن الوثوق بما يقوله أحمد الشريف، ففي القطر المصري كثير من السنوسيين الذين ينعمون بالحياة الكريمة، ويتمتعون بالامتيازات التي يتمتع بها المصريون، ومن ثم لا فائدة لأحمد الشريف من إثارة القلاقل ضد بريطانيا أو الاعتداء على حرمة الأراضي المصرية، كما ذكرت الصحف إن المهام التي يزمع أحمد الشريف القيام بها في منطقة السلوم تنحصر في تفقد معسكر المجاهدين بها، وكذلك جباية الأعشار، وتحصيل الجمارك على الأغنام والمواشي من القبائل الليبية في المنطقة (اغويطة ،2003م ، ص 275) .

الضغوط التي تعرض لها أحمد الشريف بشأن تحديد علاقته مع الإنجليز:

تعرض أحمد الشريف إلى ضغوط متعددة اختلفت فيما بينها حول علاقته بالإنجليز ومن هذه الضغوط ما تعرض من الدولة العثمانية، فقد بذل أحمد الشريف قصارى جهوده لتهدئة الأوضاع حتى تتضح الأمور، وأرجأ

البحث بتعقل في الاقتراح العثماني الذي عرض عليه بخصوص مشاركة قواته في الهجوم على الإنجليز في مصر، الذي اقترن بتحمس شديد من قبل المهاجرين الليبيين – ساندهم في ذلك بعض الضباط العرب والعثمانيين– تحمسًا فاق حد التصور، وأكثر من ذلك أن هؤلاء قد طالبوا بتنفيذه على وجه السرعة؛ لأن سياستهم هي جزء من سياسة حركة الاتحاد الإسلامي الذي تشرف عليه وتوجهه منظمة تشكيلاتي مخصوصة، وهي منظمة سرية عثمانية غامضة مهمتها الأساسية الأمن الخارجي للإمبراطورية، (الحرير، 1979م، ص ص14 – 45)، في توافق تام مع الدولة العثمانية بشتى أنحاء العالم الإسلامي، كما أنها تشكل جزءًا من هيئة تحرير شمال أفريقيا التي كان من بين أعضائها البارزين: شكيب أرسلان، والشيخ صالح الشريف التونسي، وعلي باشا حمبه، ويوسف بن شتوان، وسليمان الباروني، وكانت كذلك وراء إرسال الباروني إلى طرابلس الذي عمل من هناك على إثارة حركة تحررية تمتد من طرابلس حتى تونس والجزائر(مدلل ، 1989م ، ص58).

وقد حاولت منظمة تشكيلات مخصوصة أن تجعل من أحمد الشريف أداة طيعة تستغلها حسبما تمليه مصالح الإمبراطورية العثمانية، وليس حسبما تقتضيه مصالح ولاية طرابلس الغرب وبرقة والمتمثلة في تحريرها من سيطرة الاستعمار الإيطالي (هويدي، 1988م ، ص 58) .

لم يدفع العثمانيون هذه المرة إلى مؤازرة الليبيين بعد توقيعهم اتفاقية أوشي لوزان وانسحابهم من ليبيا سوى رغبتهم في اتخاذ برقة ميدانًا يرسلون منه جيشًا كانوا قد اعتزموا إعداده لغزو الأراضي المصرية، والسيطرة على قناة السويس؛ لأن الألمان قرروا بالاشتراك مع العثمانيين إرسال حملة من الشام لغزو الأراضي المصرية من الجهة الشرقية، ورأوا أنه لضمان نجاح خطتهم فلابد أن يشغل الإنجليز في الوقت نفسه بأمر الدفاع عن الحدود المصرية من الجهة الغربية حتى تتشتت قواتهم، ومن ثم يسهل على العمانيين تنفيذ مآربهم، وقد رافقت هذه الحملة موجة من الدعاية ونشر روح الثورة في مصر عن طريق المراسلات والهدايا والوعود (شكري ، 1948م ، ص 161) .

كما وصلت إلى أحمد الشريف عدة كتابات من أنور باشا وزير الحربية العثماني؛ يظهر له فيها محاسن الهجوم على القوات البريطانية في مصر، كما تفتضيه ضرورة الموقف، وكان أحمد الشريف يرد على أنور باشا ويحاول إقناعه بأن المسألة ستكون غير محمودة العواقب، ويتضح هذا المعني من رسالته إليه والمؤرخة في يناير 1915م ومما جاء فيها: "... حرب يأتيك (يقصد به حرب الطليان) وحرب تأتيه (يقصد به الإنجليز) فالحرب الذي يأتيك يجب عليك مدافعته بأية حالة كانت، والحرب الذي تأتيه يجب عليك الاستعداد له" (الأشهب ، 1947م ، ص 314) .

كما تعرض أحمد الشريف إلى ضغوط من بعض كبار مساعديه الذين اقتنعوا بفكرة المخطط العثماني، ومالت أكثرية جيشه إلى أنور باشا.

ويوضح التقرير الذي أرسله القنصل البريطاني في دمشق (فوجان رسل Vaughan Russel) – إلى حكومته حول محادثاته مع أحمد الشريف بالمنفى في نوفمبر 1924م بسوريا– ما تعرض له أحمد الشريف من ضغوط

لأجل القيام بالهجوم على القوات البريطانية في مصر حيث يذكر :" أن الجنرالات الأتراك في برقة كانوا ينفقون الأموال التي كانت مرسلة من الدولة العثمانية، ويستعملونها في تأليب القبائل الموالية له ضده لكي يهاجموا القوات البريطانية في مصر" (كوغلو،1987م، ص ص 74 – 73).

وفي رسالة أخرى كانت مرفقة مع التقرير يؤكد فيها ذلك بقول أحمد الشريف إنه : "أثناء دفاعي عن بلادي، فقد حصل شيء أكرهه ولم أرد حدوثه وذلك عند الحدود المصرية أثناء الحرب العظمي، شيء خطط له بدون موافقتي ... إنني اعترف بأن خطئي بأن مثل تلك الأعمال قد فرضت علي من طرف الجانب الذين كنت سلمتهم زمام أموري ..... " (كوغلو،1987م، ص ص 74 – 73).

وتظهر هذه الرسالة بأن أحمد الشريف مرتبط بحرب ساقها القدر إليه؛ إذ جاءته إلى أرضه وهي مواجهة العدو الإيطالي، وأن الواجب يحتم عليه أن يركز كل جهوده من أجلها لتحرير بلاده من الاحتلال الأجنبي، وفي الوقت نفسه فهو غير مستعد لأن يورط شعبه في حرب مع الإنجليز لا قدرة له عليها، وأن ظروفه الحربية والسياسية والاقتصادية لا تسمح له بخوضها(الأشهب ، 1947م ، ص 314) .

لم يكن في نية أحمد الشريف، وغيره من كبار قادة الحركة السنوسية، بالإضافة إلى بقية المجاهدين مهادنة إيطاليا ذلك العدو القديم، ومنازلة دولة قوية هي بريطانيا التي حافظت على صفاء العلاقات مع السنوسيين .

كما تعرض أحمد الشريف إلى ضغوط من قبل الليبيين القادمين من الدولة العثمانية بضرورة المشاركة في الهجوم على القوات البريطانية في مصر عبر الأراضي الليبية، كما تعرض أحمد الشريف أيضًا إلى ضغط خارجي آخر تمثل في ردود أفعال بعض الأوساط الشعبية في مصر، التي أخذت ترسل إليه برقيات العتاب، ومبينة ما يخالج نفوس المصريين نحوه من ظنون نتيجة لتخلفه عن الزحف باتجاه الأراضي المصرية، ومحاربة القوات البريطانية(شكري، 1948م، ص 172)، وتجدر الإشارة إلى أن أحمد الشريف يحتفظ بعلاقات حميمة مع شخصيات مصرية مرموقة كانت تأمل منه المساعدة في العمل على تحرير بلادها.

كما تعرض أحمد الشريف إلى ضغوط أخرى معاكسة للضغوط الأولى تنادي بعدم المشاركة في حرب مع الإنجليز والحفاظ على العلاقات الودية مع بريطانيا وقد كان على رأس هذا التيار القادة السنوسيون، بزعامة إدريس السنوسي(الشيخ، 2004م، ص ص 176 – 178)، الذي كان منذ صغره ميالاً للسلم كما أن ظروف تكوينه قد أثرت فيه وبشكل جعله لا يميل كثيرًا إلى جانب الدولة العثمانية ، وربما يرجع ذلك إلى أن معيشته في الجغبوب والكفرة والسودان لم تمكنه من الاختلاط بهم والتعامل معهم ، فظل معزولاً عنهم إضافة إلى أن هؤلاء بدورهم لم يعيروه اهتماماً كبيراً؛ لأن شخصية ابن عمه أحمد الشريف القوية قد طغت عليه وعلى سائر أفراد الأسرة السنوسية ، فكان الاهتمام العثماني موجهًا إليه دون غيره.

وكان إدريس السنوسي غير راضٍ عن الوضع الراهن في المنطقة، ولاسيما عن سياسة نوري باشا ورفاقه، فجاهر أحمد الشريف بذلك وصرّح له بوجهة نظره، وأوضح له سوء مغبة الحرب مع الإنجليز لو اندلعت حسبما يريده دعاته بناء على الأوامر التي ترد إليهم من اسطنبول وبرلين(الأشهب ، 1947م ، ص358) .

وقد أبلغ محمد إدريس السنوسي أحمد الشريف تحيات المسؤولين الإنجليز في مصر لشخصه الكريم وتقديرهم العالي لمقامه، وطالبه بضرورة الحفاظ على العلاقات الإنجليزية السنوسية، كما أعلن أنه لا يوافق على بقاء العثمانيين في القوات الوطنية وازدياد نفوذهم سوف يجر المجاهدين إلى تنفيذ أغراض الضباط العثمانيين وأعوانهم، ولما قوبل طلبه بالرفض من قبل أحمد الشريف ترك إدريس السنوسي معسكره متوجهًا إلى الجبل الأخضر(هويدي، 1988م ، ص 106)، بعد إقامة دامت تسعة أشهر في منطقة الحدود، وهناك أذاع بين الناس أن المنفذ الوحيد لهم سيغلق إذا ما استمر أحمد الشريف في سياسته المعادية للإنجليز، وهكذا انسحب محمد إدريس السنوسي غربًا غير راضٍ عن سياسة ابن عمه أحمد الشريف لمجاملته المفرطة للضباط العثمانيين وأعوانهم، ولم يشترك في تلك الحملة العسكرية؛ بل ولم يؤيدها إطلاقًا، ولم يستطع في الوقت نفسه إيقافها أو تأجيلها؛ لأن أحمد الشريف صم أذنيه عن آراء محمد إدريس السنوسي، ولم يأخذ بنصيحته فاضطر الأخير إلى مغادرة المنطقة الحدودية الليبية – المصرية متجهًا إلى دواخل المنطقة الشرقية(هويدي، 1988م ، ص 106) .

كما تعرض أحمد الشريف لضغوط أخرى من قبل بعض الضباط من المنطقة الغربية الذين بدءوا يظهرون معارضتهم ورفضهم للطلب العثماني؛ بل إنهم حاولوا إقناعه بتسليم نوري باشا ومرافقيه إلى الإنجليز، ولعل ذلك نابع من شعورهم الوطني وإدراكهم أن تلبية طلب القيادة العثمانية بمهادنة إيطاليا ومحاربة بريطانيا بدلاً عنهم ، يعني الكف عن السعي لتحرير ليبيا من الاحتلال الإيطالي(شكري ، 1948م ، ص 169) .

موقف أحمد الشريف من المخطط العثماني:

أدرك أحمد الشريف أنه من العبث أن يفتح على نفسه وقواته المحدودة الإمكانيات جبهة جيدة أكثر خطورة عليه من الإيطاليين، وهناك عدد من الأولويات كانت بطبيعة الحال ماثلة أمامه قبل أن يقدم على أي عمل من شأنه أن يترك على كاهل قواته عبئًا جديدًا، ويجعله من ثم تحت رحمة خصومه المحليين وحلفائه الانتهازيين، ويمكننا أن نعدد هذه الأسباب والأولويات على النحو التالي:

1- إن مصر كانت تشكل بعدًا استراتيجيًا له، فموانئها وواحاتها كانت نقاطًا حيوية للاتصال بالسودان والحجاز وبقية البلاد الإسلامية ، علاوة على أن معظم المعونات كانت تصل إليه عن طريق مصر .
2- إن العلاقات بينه وبين الإنجليز كانت حسنة، وذلك لسماحهم بمرور الأسلحة والذخائر والمؤن القادمة من مصر أو عن طريقها، وكان الإنجليز يغضون الطرف عن هذه النشاطات تودداً لأحمد الشريف، واتقاء لأية

مخاطر قد يقدم عليها في المستقبل، فالإنجليز كانوا مدركين لنشاطات العثمانيين ومحاولاتهم المتكررة لإقناع أحمد الشريف بالانضمام إليهم في معاداتهم لبريطانيا.

3- إن أحمد الشريف كان مدركًا بأن العثمانيين كانوا يستدرجونه ليجعلوا من الصحراء الغربية مسرحًا لحربهم مع الإنجليز وهو يشاطرهم هذا الرأي، ولكنه كان يرى أن تصفية العدوان الإيطالي يجب أن ينال أولوية قصوى، ذلك أن قيام حرب في الصحراء الغربية مع الإنجليز يشكل بطبيعة الحال معضلة استراتيجية أمام جيش أحمد الشريف الذي يعتمد أساسًا في تنقلاته على الإبل والخيول، في حين أن الجيش البريطاني مسلح تسليحًا حديثًا، ومزود بالعربات والسيارات المصفحة القادرة على عبور الصحراء بسرعة تفوق أسلوب مواصلات جيشه العتيق .

4- تردي الأوضاع الاقتصادية في البلاد وخاصة في المنطقة الشرقية التي شهدت قحطًا دام عددًا من السنين، وما نجم عن ذلك من انتشار الأمراض واستفحالها لاسيما مرض الكوليرا(شكري ، 1948م ، ص 164).

5- إن الإنجليز الذين تمسكوا بموقف الحياد في الحرب الليبية الإيطالية كانوا من الناحية العملية قد تركوا المجاهدين يبيعون الغنائم التي غنموها من الإيطاليين في ميناء السلوم .

كما حرص الإنجليز على أن تظل العلاقات بينهم وبين أحمد الشريف مبنية على روح الود والصداقة فقد كان السيد جون ماكسويل القائد العام للجيوش البريطانية بمصر يجامل أحمد الشريف كثيرًا، ويراسله دائمًا، ويهديه بعض الكتب، ويتقرب إليه بكل الوسائل اتقاءً لأية غارات قد تقوم بها قوات المجاهدين .

6- كانت معظم حاجيات قوات أحمد الشريف يتم قضاؤها في مصر، فعلى سبيل المثال كانت ألبسة الجيش تصنع في كثير من المدن المصرية .

7- كان معظم زعماء السنوسيين يخشون الفشل من مهاجمة القوات البريطانية، وأن يغلبوا على أمرهم بسبب ما كانوا يعلمونه من إمكانيات الإنجليز الكبيرة، ولذلك كان من رأي أحمد الشريف مهادنتهم الإنجليز والاكتفاء بمحاربة الإيطاليين على عكس ما كان يشير به نوري باشا ورفاقه(شكري ، 1948م ، ص 164) .

محاولة العثمانيين إلى عقد صلح بين أحمد الشريف وإيطاليا:

ثمة عامل آخر من عوامل تردد أحمد الشريف في حسم موقفه ، هو موضوع استمرار الجهاد ضد إيطاليا من عدمه؛ إذ إن قبوله لطلب العثمانيين بتجميد ذلك الجهاد كان يشكل إحراجًا كبيرًا له أمام مواطنيه (شكري، 1948م ، ص 164) .

ويمكن اعتبار هذا الموضوع عنصر إحراج للأطراف المعنية جميعًا، فالمواطنون الليبيون كانوا يرون في الإيطاليين أعداء لهم ولذا فإنه كان من الصعب على أحمد الشريف إقناع المجاهدين بنسيان خصومهم الإيطاليين والتوجه لحرب الإنجليز في مصر.

وبالنسبة لإيطاليا فإنها وقبل دخولها الحرب كانت تتخوف من خطورة الدعوة العثمانية للجهاد بسبب ما جاء على لسان وزير خارجيتها على وضعها؛ بل إن هذا التوجس كان يساور الإيطاليين حتى قبل دخول الدولة العثمانية الحرب وإعلانها الجهاد؛ إذ كانوا يتبادلون الرأي حول هذا الموضوع مع الإنجليز ذلك حسبما روى السفير البريطاني في إسطنبول في برقية بعثها لوزير الخارجية البريطاني في الثاني والعشرين من أكتوبر 1914م، وقد كان هذا الوضع محرجًا للدولة العثمانية أيضًا، فهي تدعو الليبيين للجهاد ، ولكنها تريده جهادًا ضد بريطانيا وفرنسا، وروسيا وليس ضد إيطاليا التي تحتل أجزاء من بلادهم، ودفعها ذلك الحرج للبحث عن تفسير للجهاد يستثني إيطاليا من أحكامه على أمل أن تنضم إيطاليا إلى جانبها في حربها ضد الإنجليز والفرنسيين، وحينما فشلت الدولة العثمانية في عقد الصلح بين أحمد الشريف وإيطاليا قامت بتوسيع قاعدة الجهاد ليشمل القوات الإيطالية، ولكن في المنطقة الغربية دون منطقة الشرقية.

وقد أقدمت الحكومة العثمانية على هذه الإجراءات من أجل تأمين حربها مع الإنجليز في مصر، وتقدمت بالكثير من المزايا إلى السفير الإيطالي في إسطنبول (جاروني Garroni) والتي كان من أهمها إصدار الحكومة العثمانية لقرار تعلن فيه أن إيطاليا هي حليفة وصديقة للدولة العثمانية، وبأن فتوى شيخ الإسلام في الجهاد لا تخص حكومة إيطاليا، ولن تكون ضدها، وبالمقابل فعلى حكومة إيطاليا أن تسمح للمبعوث العثماني نوري باشا بالذهاب إلى أحمد الشريف لضمان عدم مقاومته للإيطاليين، بالإضافة إلى مهمة التوسط لديه لإطلاق سراح سبعة عشر أسيرًا إيطاليًا مقابل ستة أسرى عثمانيين، كان من بينهم ثلاثة ضباط لازالوا في السجون الإيطالية على أن تتنازل الدولة العثمانية عن السلوم لإيطاليا، فضلاً عن اعترافها بأن جميع سكان ليبيا الأصليين تابعين لإيطاليا وتحت سيادتها، إلا أن كل هذه المساعي العثمانية– الألمانية باءت بالفشل أمام إصرار ورفض أحمد الشريف عقد اتفاقية صلح مع إيطاليا تتوقف بموجبها العمليات العسكرية بين الطرفين، ذلك أن أحمد الشريف كان يرى بأن الإيطاليين هم مجرد غزاة ومحتلين(مدلل ، 1986م ، ص57).

محاولة اغتيال أحمد الشريف:

لم يمر تردد أحمد الشريف الطويل دون أن ينفذ معه صبر مبعوثي القيادة العثمانية وخاصةً نوري باشا، وجعفر العسكري، اللذين يئسا من إقناع أحمد الشريف بجدوى الهجوم على مصر، ومن ثم اتجهت النية بين الضباط العثمانيين العاملين في جيشه إلى الخلاص منه بإعداد انقلاب ضده وتفجير خيمته، وتنصيب شخص آخر من العائلة السنوسية أسهل انقيادًا لمخططات منظمة تشكيلات مخصوصة، غير أنه تم اكتشاف هذه المؤامرة (مذكرات أنور باشا، 1979م ص 33)، ومن ثم فقد ألقي القبض على كل من: سليمان الباروني ، وشقيق أحمد الشريف يدعى محمد هلال وآخرين وأرسل المتهمون في المؤامرة إلى الجغبوب للتحقيق معهم (الحرير، 1983م، ص184).

كما أمر أحمد الشريف من تبقى من مهاجري طرابلس أن يسافروا إلى بلادهم بسرعة للانضمام إلى الشيخ محمد سوف المحمودي، وأنذر من يخالف أوامره بالإعدام، وكان لهذه الأحداث ومجرياتها أهمية كبرى للساسة الإنجليز في مصر، فقد شكروا السماء لاكتشاف المؤامرة، وعدم نجاحها ونجاة أحمد الشريف، وذلك للاستمرار في تصفية الجو المتوتر وتنقيته، والعمل على تمتين العلاقات بين البلدين وسلامة حدودهما، فالإنجليز كانوا راغبين أكثر من أي وقت مضى في حماية مؤخرة ملكهم بمصر، لذا فإنهم حرّضوا أحمد الشريف على التزام الحياد، في مقابل الإعراب له عن استعدادهم للاعتراف سياسيًا بالطريقة السنوسية في ليبيا، وأن يتنازلوا له عن بعض الواحات المصرية في الصحراء الغربية.

لقد أدرك الإنجليز أن أحمد الشريف لم يكن مواليًا للعثمانيين بسبب تنازلهم عن ليبيا في أكتوبر 1912م، تاركين المجاهدين وحدهم في مواجهة القوات الإيطالية، كذلك فإن بريطانيا لم تقم حتى ذلك الحين بأي عمل عدواني ضد المجاهدين؛ بل بالعكس فقد سمحت لهم بتلقي الذخائر والمؤن والاحتياجات من مصر، وفوق ذلك فإن الجهاد الذي أوحت به برلين والذي كان السلطان قد أعلنه لم تتوفر فيه الشروط التي نصّ عليها القرآن الكريم، وهكذا فإن الاعتبارات السياسية والدينية لم تكن لتدل أحمد الشريف إلا على طريق واحد فحسب وهو البقاء خارج حرب لم يكن له فيها ناقة ولا جمل(هويدي، 1988م ، ص59) .

دخول إيطاليا الحرب:

جاء انضمام إيطاليا إلى جانب الحلفاء في 23 مايو 1915م منقذًا للجميع من ذلك الحرج والازدواجية في المعايير، ومن تأثيراته على أحمد الشريف أنه أزال شيئًا من تحفظات هذا الأخير تجاه الدعوة العثمانية، وكذلك وضعه في موقف يصعب عليه فيه إقناع أتباعه باستمرار التقارب مع بريطانيا؛ ما دامت الأخيرة قد أصبحت حليفة رسمية لعدوتهم إيطاليا(السعدون، 1999م، ص133) .

لم تكن فترة تردد أحمد الشريف الطويلة عقب وصول مبعوثي القيادة العثمانية خالية من أي نشاط؛ فقد حفلت بجهود كبيرة لإعداد جيش المجاهدين كي يكون على أهبة الاستعداد حين تصدر له الأوامر بمباشرة الزحف والقتال؛ إذ وصلت لهذا الجيش دفعتان على الأقل من الأسلحة والذخائر عن طريق البحر، كما بذلت محاولات لإدخال درجة من التنظيم في بعض وحدات الجيش الذي كان منظمًا على أساس الانتماء القبلي دون التزام بأنماط التقسيمات العسكرية المألوفة، وكان لذلك الجيش إضافةً لسمته القبلية سمة أخرى جعلته أقرب ما يكون إلى جيش إسلامي متعدد الساحات لا جيش قطري محدود بإقليم معين، فإلى جانب المجاهدين الليبيين، ضم ذلك الجيش عددًا من الضباط والجنود العرب والعثمانيين، إضافةً إلى أبناء القبائل في بعض أقطار شمال أفريقيا الأخرى الذين توافدوا للإسهام في الجهاد تحت قيادة أحمد الشريف(السعدون، 1999م، ص134) .

محاولات العثمانيين المتكررة لقطع علاقة أحمد الشريف بالإنجليز:

ومن جهتهم استمر مبعوثوا الدولة العثمانية في بذل الجهود والمساعي لتحريض أحمد الشريف ضد الإنجليز، ففي أول هذه المحاولات أشار جعفر العسكري على أحمد الشريف بفكرة جمع الزكاة من قبائل أولاد علي القاطنين في غرب مصر، على اعتبار أنها قبائل تتبع الطريقة السنوسية، فاقتنع أحمد الشريف بالفكرة، ولأجل ذلك اتصل بالقائد (سيسل سنو Secil Snow)، وسعيًا لترضيته فقد أعطاه الإنجليز تصريحًا يخوله جمع الزكاة والأعشار من تلك القبائل، فاستغل جعفر العسكري هذا التصريح أسوأ استغلال حيث بعث ببعض الفرق من قوات أحمد الشريف إلى نجوع قبائل أولاد علي، وطلب منها القيام بأعمال خارجة عن نطاق جمع الزكاة، كالسلب والنهب والاعتداء، هادفًا من وراء ذلك إلى إحداث صدام مع أولاد علي، مما قد يدفع بالقبائل في شرق ليبيا للاندفاع داخل الأراضي المصرية انتقامًا لأبنائها الذين غدر بهم أولاد علي، مما سيفسد حتمًا العلاقة بين أحمد الشريف والإنجليز فتقوم بينهما الحرب (اغويطة، 2003م ، ص302) .

ولكن يبدو أن هذا المخطط قد لاقى الفشل؛ إذ بادر أولاد علي إلى الاتصال بالضابط محمد صالح حرب، وأطلعوه على الأعمال التي نفذها رجال أحمد الشريف في نجوعهم، فأرسل من جهته وفدًا يحمل شكوى إلى أحمد الشريف، ولكن الأخير لم يكن له علم بما حدث، وعلى إثر ذلك استدعى أحمد الشريف كل المجاهدين الذين توغلوا في الأراضي المصرية، وبعث في الوقت نفسه برسالة اعتذار إلى أولاد علي، والقائد سيسل سنو مبديًا فيها أسفه العميق لما حدث من طرف أتباعه (اغويطة،2003م ، ص 302 – 303) .

وثاني هذه المحاولات جاءت عندما قام كل من نوري باشا، وجعفر العسكري بالإيعاز إلى البواخر الإنجليزية في السلوم بالإبحار قبل نقل بريد أحمد الشريف إلى الإسكندرية، أو تزوير الرسائل التي كان أحمد الشريف يتبادلها مع القادة الإنجليز(اغويطة،2003م ، ص303) .

كما قام نوري باشا بإغراء محمد هلال السنوسي شقيق أحمد الشريف بالذهاب إلى سيدى براني من أجل تحريض السنوسيين على الثورة ضد الإنجليز، دون علم أحمد الشريف، وبالفعل فقد جاء محمد هلال السنوسي إلى منطقة سيدي براني وعندئذ طلب القائد سيسل سنو، والجنرال السير جون مكسويل من الضابط محمد صالح حرب أن يبذل قصارى جهده لإقناع محمد هلال السنوسي بالانسحاب من سيدى براني، وكان الإنجليز قد حاولوا ذلك معه من قبل ولكنهم أخفقوا في إقناعه حتى لا يقوم بعمل مناقض لسياسة أخيه أحمد الشريف، وهو ما لا يستطيع الإنجليز أن يقفوا إزاءه مكتوفي الأيدي؛ بل قد يجدون أنفسهم منساقين إلى القيام بعمل مضاد قد يورث محمد هلال السنوسي الندم طوال حياته، وهكذا ذهب محمد صالح حرب إلى منطقة سيدي براني وقابل مأمورها الذي أبلغه أن محمد هلال السنوسي وجماعته قد قاموا بمهاجمة القسم، وظلوا ثلاث ليال متواصلة يطلقون النار على الضباط المصريين والعساكر الموجودين به، عندئذ ذهب الضابط محمد صالح حرب بمفرده لمقابلة محمد هلال السنوسي، وأقنعه بعدم

جدوى هذه المناوشات الأمر الذي اضطر محمد هلال السنوسي، للموافقة على الذهاب مع محمد صالح حرب إلى قسم سيدي براني، ومنه إلى منطقة السلوم؛ حيث كان ينتظرهما القائد سيسل سنو، وتلى ذلك أن أرسل محمد هلال السنوسي إلى أخيه أحمد الشريف في قرية إمسيعيد، وانتهت هذه المحاولة العثمانية أيضًا بالفشل(شكري، 1948م، ص166) .

بعد فشل كل المحاولات من أجل إقناع أحمد الشريف بضرورة الهجوم على حدود مصر الغربية، تقرر استغلال ما كان بين جعفر العسكري، وبعض شيوخ السنوسية من صلات متينة لافتعال حدث على الحدود يجعل أحمد الشريف أمام الأمر الواقع، ويضطره إلى الدخول في الحرب، وفي سبيل ذلك أكثر جعفر العسكري، من نثر الذهب والوعود، واستمال إليه أحد الضباط العاملين في جيش أحمد الشريف يدعى أحمد المختار الطرابلسي، وأرسله مع عدد من زملائه لمهاجمة مراكز الإنجليز(هويدي، 1988م، ص62).

لقد أدت هذه التطورات إلى حدوث الخلاف بين أحمد الشريف ونوري باشا، الذي بدأ الاحتكاك بالإنجليز دون معرفة أحمد الشريف، واستطاع أحمد مختار الطرابلسي وعدد من المتطوعين معه لا يزيد عددهم عن الخمسين رجلاً باجتياز الخط الحدودي، وشنوا هجومًا على منطقة سيدي براني، وقد احتج الإنجليز لدى أحمد الشريف على هذا الهجوم، ونتيجة لذلك صبّ أحمد الشريف جام غضبه على نوري باشا وجعفر العسكري (السعدون، 1999م، ص136)، وأصدر أوامره المشددة إلى جميع رؤساء القبائل والضباط العرب العاملين تحت إمرته بعدم الامتثال للتعليمات التي تصدر إليهم من نوري باشا، وجعفر العسكري(السعدون، 1999م، ص136).

كما قام أحمد الشريف باستدعاء أحمد مختار الطرابلسي، الذي قام بتنفيذ الهجوم بناءً على أوامر ضباط منظمة تشكيلات مخصوصة، وأمر باعتقاله وتقديمه للمحاكمة وتشكلت فعلاً محكمة ترأسها كل من : عبد العاطي أمحيفظة العميري من قبيلة أولاد علي، ومحمد أبوالشهبا المجبري ، وأصدرت حكمها بالإعدام على كل من: الضابطين أحمد مختار الطرابلسي، وأبي القاسم العيساوي، ورفع الحكم إلى أحمد الشريف وسكرتيره الخاص محمد أفندي الزردومي، وتم التصديق عليه فنفذ الحكم رميًا بالرصاص في شخص أحمد مختار الطرابلسي، أما أبو القاسم العيساوي، فأدرك مصيره، عندئذ قرر الهرب وتمكن من النجاة، وكان حكم الإعدام هذا هو الأول من نوعه الذي يقره أحمد الشريف على أحد ضباطه البارزين، وقد أراد الضباط العثمانيون استغلال هذه الحادثة لصالحهم، والتنديد بأحمد الشريف وأحكامه الجائرة؛ إذ كيف يعاقب ضابطًا شجاعًا مثل أحمد مختار الطرابلسي بحكم الإعدام رميًا بالرصاص ؟

وإذا كان لابد من محاكمته، فلماذا لم يحاكم أمام محكمة عسكرية حسب القوانين المتبعة عالميًا (القانون العسكري) ؟ وهكذا استغل ضباط منظمة تشكيلات مخصوصة هذه الحادثة في استثارة معظم المجاهدين والعسكريين لمهاجمة الإنجليز في أقرب وقت ممكن (الحرير، 1983م، ص 184)، وبعد واقعة الهجوم على سيدي براني، قام الضباط العثمانيون باستغلال الأوامر الصادرة من أحمد الشريف إلى الضابط محمد وصفي الخازمي(هويدي، 1988م، ص ص 68 – 69) ، والتي تضمنت رغبة أحمد الشريف في تحصيل الجمارك على القوافل التجارية المارة على طريق

سيوة الجغبوب، فطلبوا منه أن يعسكر بقواته داخل الأراضي المصرية بعد احتلال منطقة قربا، والتي تبعد حوالي خمسة عشر كيلو مترًا غربي واحة سيوة، وفي الوقت نفسه قام القائد الإنجليزي سيسل سنو بإبلاغ اليوزباشي محمد صالح حرب كي يذهب إلى سيوة لمقابلة هذه القوة، والمفاوضة معها باسم الحكومة الإنجليزية في مصر حتى تنسحب من الحدود المصرية، وحاول الضابط محمد صالح حرب إقناع الضابط محمد وصفي الخازمي بالانسحاب من الأراضي المصرية إلا أن الأخير كان مصممًا على عدم الانسحاب إلا إذا أتته أوامر قاطعة بذلك من أحمد الشريف ومن نوري باشا، وأظهر استعداده للمقاومة، وقال إنه إنما حضر إلى منطقة قربا لتحصيل المكوس والعوائد من القوافل بين منطقتي قربا والجغبوب ومراقبتها، وقد فشلت محاولات الإنجليز في إجبار قوات المجاهدين على الانسحاب من واحة سيوة (شكري، 1948م، ص166) .

محاولات الإنجليز إبقاء أحمد الشريف على الحياد:

حرصت بريطانيا على استمرار علاقتها الودية مع أحمد الشريف؛ إذ ظل مندوبوها في مصر حتى آخر لحظة يحاولون التأثير عليه بما يبقيه على حياده؛ فبريطانيا كانت تتخوف من انضمامه إلى دعوة الجهاد العثمانية ضدها بشكل يؤثر على وضعها في مصر لما له من مكانة كبيرة هناك، كما أنها تخشى أن يؤدي تحركه نحو حدود مصر الغربية إلى تهديد سلامة وضعها الحربي، وكان ذلك التخوف هو السبب الذي جعل السلطات البريطانية لا تستجيب للعروض الإيطالية الساعية لإقناعها بوضع أحمد الشريف بين فكي كماشة الشرق والغرب بهدف سحقه، وفضلت بدلاً من ذلك الاستمرار في سياسة الترضية لأحمد الشريف إلى آخر مدى ، ولذا فإنها تسامحت في فتح الحدود المصرية الليبية أمام حركة البضائع المتجهة لتموين أتباعه بشكل متزامن مع ازدياد النشاط العثماني الألماني في هضبة السلوم منذ بداية النصف الثاني من عام 1915م (السعدون، 1999م، ص131) .

رسالة المندوب السامي البريطاني في مصر هنري مكماهون لأحمد الشريف:

كان ذلك الحرص البريطاني هو الدافع الذي جعل هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر، يرسل رسالة في الخامس عشر من يناير 1915م إلى أحمد الشريف أبلغه فيها بوصوله إلى مصر مؤكدًا على أن العلاقات الودية السائدة بين الإنجليز والسنوسيين لن يطرأ عليها تغيير في ظل النظام السياسي الجديد (اغويطة، 1999م، ص 275 – 276)، وجاءت تلك الرسالة كالتالي:

" قطب دائرة أهل الفضل والكمال ، وخلاصة أرباب الحجى والكلام، وإمام المصلحين وقدوة المرشدين، الأستاذ الأعظم، والملاذ الأفخم، السيد أحمد الشريف السنوسي، أعزّه الله .. سلام الله الأسنى ، وتحياته المباركة الحسنى، تخص مقام السيادة وبعد، فإني بحمد الله ومعونته وصلت إلى مصر نائبًا عن جلالة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا العظمى، وإمبراطور الهند؛ الذي أعلن حمايته على هذا القطر السعيد لتحفظ سلطته من اعتداء المعتدين، ويرقى به وبأهله معارج التقدم والفلاح، ولما كانت علاقة حكومة هذا القطر على الدوام ودية مع سيادتكم؛

رأيت أن أبلغكم وصولي، وأذكر لكم أن العلاقات الودية التي كانت لكم ولأسلافكم الكرام مع الحكومة المصرية ستستمر في هذا العهد الجديد، كما كانت عليه من قبل والسلام"(أرسلان، 1973م، ص ص 131 – 132) .

وقد كان موقف السلطات البريطانية يهدف من وراء المصالحة مع أحمد الشريف إلى تحقيق عدة أمور نوجزها فيما يلي:

1 – رغب الإنجليز في بناء جسور من الصداقة مع أحمد الشريف صاحب النفوذ الديني والسياسي الواسع في الأجزاء المتاخمة لصحراء مصر الغربية؛ حيث أدركوا تمامًا ما سيجره عليهم الجهاد الإسلامي، وما سيفتحه عليهم من أبواب تشكل عليهم خطورة بالغة لا يرون ضرورة لفتحها في وقت كانوا مشدودين فيه لحرب أوروبية تكلفهم المال والرجال، ومن ثم فليس من مصلحتهم فتح جبهة ثالثة إلى جانب مشاركتهم في الحرب الأوروبية وما كانوا يتوقعونه من هجوم القوات العثمانية والألمانية على قناة السويس .

2 – هدف الإنجليز من المصالحة أيضًا إلى امتصاص غضب الشعب المصري، خاصةً المتعاطفين منهم مع القضية الليبية ، بالإضافة إلى التخفيف من حدة الثورة الإسلامية التي اندلعت أصلاً في كل من طرابلس الغرب وبرقة، وأصبحت تنذر باندلاع الثورات في كل من: الهند، السودان، وأفغانستان، وتونس، والجزائر، ومن ثم فإن الإنجليز كانوا حريصين على أن تظل علاقتهم مع أحمد الشريف متسمة بالود والصداقة نظرًا للمكانة التي يتحلى بها في العالم الإسلامي .

3 – هدف الإنجليز أيضًا من وراء هذا التقارب إلى ممارسة نوع من الضغوط غير المباشرة على الإيطاليين بهدف إقناعهم بمولاة الحلفاء لاسيما وأن إيطاليا كانت وحتى تلك اللحظة في مفترق الطرق؛ إذ لم يقرر قادتها إلى أي الأحلاف يتجهون (مدلل ، 1989م ص ص 198 – 200) .

محاولة الإنجليز عقد صلح بين أحمد الشريف وإيطاليا:

بعد انضمام إيطاليا إلى جانب الحلفاء في مايو 1915م فإن بريطانيا سعت إلى استغلال هذا التقارب في محاولة عقد صلح بين إيطاليا وأحمد الشريف، إن توقف الحرب في ليبيا معناه أن ترمي إيطاليا بكل ثقلها العسكري والمادي في دوامه الصراع ضد العثمانيين والألمان، كما أن عقد صلح بين المجاهدين والإيطاليين من شأنه أن يمنع أي هجوم على مصر من الناحية الغربية، وتنفيذًا لذلك الهدف شهدت الفترة الممتدة من مارس وحتى أواخر نوفمبر 1915م مباحثات مكثفة دائمة ومتقطعة بين وفود مصرية إنجليزية، وأحمد الشريف في معسكر أمساعد إلا أن هذه المساعي لم يكتب لها النجاح بسبب تمسك أحمد الشريف بموقفه المعارض لإجراء أي صلح مع إيطاليا إلا على أساس خروجها من ليبيا(مدلل، 1989م، ص200) .

لقاء أحمد الشريف بمحمد صالح حرب:

على إثر فشل محمد هلال السنوسي في إشعال الثورة ضد الإنجليز في منطقة سيدي براني طلب الضابط محمد صالح حرب من القائد الإنجليزي سيسل سنو السماح له بمقابلة أحمد الشريف، في منطقة أمساعد، وتم له ذلك

(اغويطة، 2003م، ص307)، وكان لهذه المقابلة آثار مهمة لعدة أسباب منها أن معرفة ما دار من أحاديث أثناءها بين الضابط المصري وأحمد الشريف يساعد على فهم موقف أحمد الشريف من مسألة الحرب ضد الإنجليز في وقت كانت تنقص قواته و قوات العثمانيين عمومًا المؤن، والذخائر، والأسلحة، ولا يجد أحمد الشريف بسبب ذلك أن من الحكمة و أصالة الرأي معاداة الإنجليز والاشتباك معهم في حرب لا جدوى منها لاسيما وأن خسارتها محققة، فقد أراد أحمد الشريف أن يعرف حقيقة موقف الإنجليز في مصر وسياستهم ونواياهم نحوه، وتحدث في هذا الشأن مع محمد صالح حرب بصراحة تامة نظرًا للمساعدات التي كان يبذلها لهم الضابط محمد صالح حرب وهو نائب لقومندان مرسى مطروح الإنجليزي (رويال Royal)، وغض الطرف عن تهريب المؤن والأسلحة إلى المجاهدين في أثناء الحرب الإيطالية الليبية، أو بمعنى آخر المساعدة في إتمام عمليات التهريب في عامي (1911-1912م)(شكري، 1948م، ص167) .

وقد استفسر منه الضابط المصري عن حقيقة الموقف من الإنجليز فأجابه أحمد الشريف قائلاً :

" إن الأتراك إنما يريدون أن يورطوه في حرب مع الإنجليز قبل أن يستعد لها الاستعداد الكافي، وإنه لا يمالئ الإنجليز محبة فيهم أو تقربًا منهم، ولكن مصر هي الباب الوحيد المفتوح الذي تأتيه منه الأرزاق والأقوات التي يستطيع بفضلها متابعة القتال ضد الطليان، فإذا قفل هذا الباب تحرج موقفه، وأنه لم يستدع الأتراك إلى ليبيا إلا ليجلبوا معهم الإمدادات الكافية، والتي يكون فيها الغناء عن ذلك الباب المفتوح ، ولكن هؤلاء حضروا وليس معهم أية إمدادات أو أرزاق أو مال، ومع ذلك فهم يطلبون منه كل يوم القيام بحركة ويلحون في هذا الطلب، مع العلم أن بدء الحركة قبل أن يحين الوقت الملائم يعود بالشر والوبال على الجميع ، وأني أصرح لك أنه لا سلاح ولا ذخيرة ولا مال ولا أرزاق كافية لدينا، أنا ليس في نيتي أن أحارب الإنجليز"(شكري، 1948م، ص169)، ولم يعقب محمد صالح حرب على قول أحمد الشريف وشكره على الهدية التي قدمها له في نهاية اللقاء(اغويطة، 2003م، ص307) .

وبعد انتهاء هذه المقابلة التقى نوري باشا بالضابط محمد صالح حرب، وشكا له تردد أحمد الشريف وامتناعه عن محاربة الإنجليز، مع أن نوري باشا وجعفر العسكر وصحبهما عندما حضروا من إسطنبول بناء على دعوة أحمد الشريف كانت الفكرة على حد قول نوري باشا، أن يقوم أحمد الشريف بحركة ضد الإنجليز تجذب جزءً من قواتهم على الغرب بحيث يسهل على جمال باشا القائد العثماني المرابط في الشام أن يقتحم بجيوشه قناة السويس، ويخلص مصر من الإنجليز؛ لكن أحمد الشريف بدلاً من ذلك يكتفي ببذل الوعود، ولا يريد أن يحرك ساكنًا، واعترف نوري باشا بأنه صار مرغمًا بسبب سكون أحمد الشريف على تدبير الخطط لفصم العلاقات القائمة بين أحمد الشريف، وبين الإنجليز ومما يجدر ذكره أنه في أثناء هذه المقابلة مع القائد العثماني تبين للضابط المصري عجز القيادة عن إعداد الخطط العسكرية اللازمة لضمان نجاح أية حركات قد يقوم بها العثمانيون والسنوسيون ضد الحدود المصرية، فلم يكن القائد العثماني نوري باشا يعرف ما إذا كان في استطاعته الاعتماد على تموين قواته من جهات العقبة، وهي المنطقة الممتدة من السلوم إلى ما قبل محطة فوكة بينما أهل هذه الجهات وهم قبائل أولاد على يعتمدون في تموينهم على المؤن

التي تأتيهم من داخل القطر المصري، ولم يكن يعرف كذلك ما إذا كان لدى قبيلة أولاد علي أسلحة كافية وذخائر، وهل بالإمكان الاعتماد على مؤازرتهم للجيوش الزاحفة على مصر من جبهتهم، مع العلم بأنهم ممنوعون قانونًا من حمل الأسلحة(شكري، 1948م، ص169) .

نجاح العثمانيين في تنفيذ مخططهم:

ظل الضباط العثمانيون يضغطون على أحمد الشريف لإنهاء علاقاته مع الإنجليز، ويحركون خيوط المؤامرة لإيقاع النفور والشقاق بينه وبين هؤلاء، ويضعونه أمام الأمر الواقع إذا نجحت تدابيرهم ومؤامراتهم على إعلان الجهاد ضد الإنجليز، فبعد فشل حادثة محمد هلال السنوسي، تلك الحادثة التي انتهت بانسحاب القائد سيسل سنو من السلوم، أما تفاصيل هذا الحادث فهي كما يؤخذ من روايتي الضابط محمد صالح حرب ، والشيخ عبد الرحمن الزقلعي الذي كان بمعسكر أحمد الشريف وقتئذ : أن نوري باشا حضر لزيارة أحمد الشريف ذات ليلة وقال له: " إن الضابط الإنجليزي رويال قومندان مرسى مطروح يأتي متخفيًا بزي الأخوان السنوسيين، ويتجسس على المعسكرات في منطقة السلوم ويجمع أخبارها، لذلك يجب على المجاهدين أن يقضوا عليه حتى يقيموا الحجة على الإنجليز ويثبتوا عدم إخلاصهم للسيد " فوافق أحمد الشريف، واختار نوري ضابطين هما أحمد الفلاني وبلقاسم الزنتاني للقيام بحراسة المعسكر ليلاً والقبض على القائد الإنجليزي رويال، وطلب نوري من أحمد الشريف أمرًا بذلك، فأمر كاتبه عبد اللطيف أن يكتب لهم ما يريدون، فأملى نوري باشا على الكاتب العبارة الآتية على لسان أحمد الشريف بعد الديباجة " هناك خدمة وطنية يمليها عليكم نوري باشا فنفذوا ما يأمركم به "(شكري، 1948م، ص169)، فأخذ نوري صورتين من هذا الخطاب عليها ختم أحمد الشريف، واستغل ما جاء بهذه الكتب وأصدر أمراً إلى الضابط أحمد الفلاني بالهجوم على منطقة السلوم، وأمرًا آخر إلى الضابط بلقاسم الزنتاني بالهجوم على القوات البريطانية، وفي الوقت نفسه قام نوري باشا ببث بعض الجواسيس الذين ينقلون أخبار المعسكر السنوسي إلى الإنجليز ليبلغا القائد سيسل سنو أن أحمد الشريف قد اتفق نهائيًا مع العثمانيين على مهاجمة الإنجليز بعد يومين، وأنهم قد استقدموا على منطقة أمساعد الكتائب الموجودة من منطقة بئر الواعر(شكري، 1948م، ص169) .

استمرار الإنجليز في معالجة الموقف بالأساليب الدبلوماسية:

استمر الإنجليز في معالجة الموقف على الحدود المصرية الليبية بالأساليب الدبلوماسية وابتعدوا عن العنف تجنبًا للاصطدام، وتقليلاً لعدد خصومهم وأعدائهم فاتصلوا بالسلطان حسين كامل، وأطلعوه على ما جرى وراء الحدود، وطلبوا منه أن يعمل للإصلاح والتوفيق وإقناع أحمد الشريف بالتزام الحياد وعدم الانقياد وراء دسائس العثمانيين والألمان الذين ما جاءوا لخدمة العرب والمسلمين، وإنما جاءوا ليضحوا بهم وليلقوا بهم إلى التهلكة، فاختار السلطان حسين كامل السيد محمد الشريف الإدريسي نجل السيد عبد المتعال ابن السيد أحمد بن إدريس، مؤسس الطريقة الإدريسية، ونجله الأكبر محمد مرغني الإدريسي للسفر إلى منطقة أمساعد، وزيارة أحمد الشريف وإقناعه بالتزام

الحياد، وعدم الاندفاع في تأييد السياسة العثمانية والألمانية، فغادر الوفد القاهرة في شهر سبتمبر 1915م، وحمل معه ثلاثة كتب إلى أحمد الشريف، الأول: من السلطان حسين، والثاني: من السير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر، والثالث: من الجنرال السير جون ماكسويل قائد جيش الاحتلال البريطاني وهي تدور حول النصح له بالتزام الحياد وتذكره بما بين مصر وبرقة من صلات، وترجوه بعدم الانقياد وراء الدسائس العثمانية، وأن يعمل على طرد الرسل والدعاة الذين جاءوا لذلك خيرًا له ولأمته ولبلاده ، وكلّف الجنرال السير جون ماكسويل السيد محمد الشريف الإدريسي بأن يبلغ أحمد الشريف باسم حكومته بأنها إذا انتهت الحرب العظمى، ولم يشترك فيها أحمد الشريف ، واحتفظ بالحياد فإن إنجلترا تتعهد بأن تساعده في الحصول على استقلال بلاده وتوفق بينه وبين إيطاليا، وأن تجعله أعظم شخصية عربية في البلاد العربية ومرجعًا لأمراء العرب وكبرائهم . (الوثائق الفرنسية المجموعة الثانية ، 1996م ، ص427) .

واستطاع السيد محمد المرغني الإدريسي خلال هذه الزيارة الاجتماع بنوري باشا، وفي أثناء الحديث معه على حقيقة نوايا العثمانيين، والتي كانت تهدف من وراء الهجوم على مصر إلى إرغام الإنجليز على حشد أكبر قوة لديهم على حدود مصر الغربية، وتعطيلها من الاشتراك في الميادين المهمة الأخرى ولو أدى هذا العمل إلى إلحاق الأذى والضرر بمصلحة المجاهدين أنفسهم في برقة، وعندئذ قام السيد محمد مرغني بإبلاغ أحمد الشريف عن حقيقة العثمانيين(شكري، 1948م، ص165) .

وقد كان لهذا الوفد لقاء آخر مع محمد إدريس السنوسي، الذي لم يكن من رأيه قطعًا جلب عداء الإنجليز ضد العرب وتكدير صفو العلاقات معهم، ومن ثم فإنه أبدى عدم الموافقة نهائيًا على تدبير الهجوم على الحدود المصرية.

وفيما يتعلق بالجانب العسكري فقد قام الإنجليز بحشد قوة عسكرية في منطقة مرسى مطروح، بلغ تعدادها حوالي ثلاثين ألف جندي تحسبًا لأي هجوم آخر من قبل قوات أحمد الشريف على الحدود المصرية(شكري، 1948م، ص165) .

ومن جهتها قامت القوات البريطانية بتشديد الرقابة على المناطق الحدودية ، فأنشأت نظامًا جديدًا للدوريات بين المناطق الممتدة من الفيوم إلى أسيوط، ووضعت قوات خفيفة الحركة عند منطقة بني سويف، كما تمكنت البحرية البريطانية من إنشاء قاعدة للتموين عند منطقة البراني(سالم،1981م، ص ص 395 – 396)، وكذلك تم تشكيل حكومة جديدة خاصة بالحدود الغربية سميت محافظة الغرب وشملت من الشمال الحدود المصرية المتمثلة في مراكز مرسي مطروح، الضبعة ، سيدي براني، سيوة ومن الجنوب: الواحات البحرية ، الفرافرة الملحقة بمديرية المنيا والواحات الداخلة والخارجة الملحقة بمديرية أسيوط، وعين على الحكومة الجديدة اللواء (هانتر Hanter) رئيس إدارة حرس الحدود، وأخضعت المنطقة للأحكام العرفية، وتقرر إلحاقها بالسلطة العسكرية رأسًا، وانتشرت لواءات

المشاة على طول غرب النيل، وكونت جزءً من قوة الحدود الغربية، وأصبحت واحة الفيوم من المراكز الدفاعية المهمة، ووضعت حاميات كبيرة بين الفيوم وأسوان استعدادًا للمواجهة(سالم،1981م، ص396).

في شهر ديسمبر 1915م قام نوري باشا وجعفر العسكري بمهاجمة نقطة السلوم المصرية في أثناء الليل، وكان بها الملازم أول محمد لبيب، وقوة من الهجانه فحملوهم جميعًا إلى معسكر المجاهدين في أمساعد، وعلاوة على ذلك أمر نوري باشا وجعفر العسكري المدفعية العثمانية بأن تقوم بمناورات حول ثكنة العساكر المصريين فوق السلوم على هيئة جيش يقصد الهجوم، فأيقن القائد سيسل سنو أن الأخبار التي بلغته صحيحة ولما كان الوفد الإدريسي ما يزال حتى ذلك الوقت مقيمًا في أمساعد في ضيافة أحمد الشريف، فقد زال كل شك لدى الإنجليز، وأيقنوا تمامًا أن الأخير ينوي مقاتلتهم فأمر القائد سيسل سنو القوة الموجودة بالسلوم بالانسحاب فورًا، فحملتهم جميعًا الطوافة (عبد المنعم) من السلوم إلى مرسى مطروح، وكان معهم القائد سيسل سنو والضابط رويال واستقبلهم الضابط محمد صالح حرب، وأكد له القائد سيسل سنو أنهم لو تأخروا قليلاً في السلوم لاغتالهم العثمانيون والسنوسيون جميعًا، أما أحمد الشريف فإنه لم يعلم شيئًا مما جرى حتى صباح يوم الحادث، فاضطرب اضطرابًا شديدًا، وبعث برسله على الفور إلى السلوم مع محمد الشريف الإدريسي وأعضاء الوفد الآخرين لمقابلة القائد سيسل سنو وإبلاغه الحقيقة غير أن هؤلاء وصلوا بعد خروج الطوافة .

وتألم أحمد الشريف من تصرفات العثمانيين ومحاولاتهم المتكررة لقطع العلاقات بينه وبين الإنجليز في وقت لم يكن يراه مناسبًا لقطعها(شكري، 1948م،ص ص169 – 170)، وعندما اشتد به الحرج عمد إلى استشارة جماعة من الإخوان السنوسيين فيما يجب عليه فعله، ولما كان هؤلاء ضالعين مع العثمانيين في خططهم، فقد أشاروا عليه بالانضمام إلى العثمانيين في هذه الحركة؛ لكي لا يذاع عن أحمد الشريف أنه على وفاق مع الإنجليز، وأنهم قد أعطوه مالاً، فاضطر إلى العمل بنصيحتهم منعًا لهذه الشبهة، وعلاوة على ذلك فقد كان الجيش منحازًا إلى نوري باشا وجعفر العسكري(شكري، 1948م، ص 170) .

لم تكن العلاقات بين أحمد الشريف ونوري باشا على درجة كبيرة من الصفاء في أثناء وجودهما بالسلوم؛ بل كثر الخلاف بينهما؛ لأن نوري باشا كان يمعن في التحرش بالقوات البريطانية، ويطلق رجاله النيران على السفن الآتية إلى السلوم، وهي سفن محملة بالأرزاق والمتاجرة التي يحتاج إليها المجاهدون احتياجًا شديدًا مما أغضب أحمد الشريف، زد على ذلك أن نوري باشا أخذ يجفو في معاملته مع أحمد الشريف؛ لأنه كان يرضى عن موقف المسالمة الذي أراد الأخير أن يقفه من النزاع على الحدود الغربية بين العثمانيين والإنجليز، فأرسل نوري باشا الكتب إلى أخيه أنور باشا يقول فيها : " إن أحمد الشريف لا يريد معاداة الإنجليز؛ بل أنه ممالئ لهم سرًا، وغير ذلك من الأقاويل "(شكري، 1948م،ص 170) ، حتى صار رجال وزارة الحرب الدفاع العثمانية يلمزون أحمد الشريف، ويعزون إليه أمورًا كانت ولا شك غير صحيحة مثل كونه يريد الخلافة لنفسه، ومثل أنه غير مخلص للدولة العثمانية إلى غير ذلك، ثم جاءت الكتب الكثيرة من أنور باشا إلى أحمد الشريف تحضه على إجابة رغبات شقيقه نوري باشا، وتطلب منه عدم التباطؤ

في الهجوم على القوات البريطانية في مصر، ثم أرسل نوري باشا إلى جانب هذا سعاة إلى مصر يذيعون عن أحمد الشريف أنه لا يريد الهجوم على هذه البلاد حرصًا منه على مودة الإنجليز وصداقتهم مع أن العثمانيين – كما قال – كانوا يسعون بكل جهدهم لطرد الإنجليز من مصر وأوفدوا نوري باشا لتدبير الحملة على الحدود الغربية من أجل هذه الغاية .

ثم زادت متاعب أحمد الشريف عندما بدأت تأتي إليه الرسل من مصر ذاتها تعاتبه على موقفه هذا، وتبين له ما يخالج المصريين نحوه من الظنون بسبب تخلفه عن الزحف، عندئذ قرر أحمد الشريف بسبب ما تقدم جميعًا وبعد حادث السلوم خصوصًا أن يشترك مع العثمانيين والألمان في الحملة والزحف على حدود مصر الغربية، وعندما وصل أحمد الشريف إلى هذا القرار استدعى نوري باشا، وخاطبه قائلاً :" هو ذا أنا حاضر للسير فلا تقدر أن تقول إن العائق كان مني، وإنما إذا فشلت هذه الحملة فلا أكون أنا المسئول " (شكري، 1948م، ص ص169 – 170) .

وقد قام أحمد الشريف بإرسال قوة لاحتلال واحة سيوه بقيادة الضابط محمد وصفي باشا الخازمي الطرابلسي فتم له ذلك، وأما أحمد الشريف فقد سار بنفسه بالجيش وعدده أربعة آلاف مقاتل ومعه نوري باشا قائدًا أولًا وجعفر العسكري قائدًا ثانيًا وغرضهم الهجوم على القوات البريطانية في مصر(شكري، 1948م،ص 170) .

دخول أحمد الشريف الحرب ضد القوات البريطانية:

وقد بدأ الهجوم على القوات الإنجليزية عند حدود مصر الغربية، وتم احتلال واحة سيوة المصرية، هذا إضافة إلى هجمات الطرادات البحرية الألمانية على السفن الإنجليزية التي كانت قريبة من الحدود، فقد أغرق الطراد الألماني(أو 35 o) الطراد الاحتياطي الإنجليزي (تارا Tara في مياه السلوم ثم ضربها بقنابل المدفعية، وأغرق قطعة لخفر السواحل تسمى (العبار)، وألحق أضرارًا بالبارجة (نور البحر)، وأغرق سفينة النقل (مورنيا Morina)، وأسر جميع العاملين على هذه السفن في أحد المعسكرات القريبة من منطقة السلوم .

ويلاحظ أن قوات أحمد الشريف تمكنت في بداية الحرب من شل حركة القوات البريطانية التي كانت قادرة على هزيمة القوات العثمانية في أي مكان، الأمر الذي اعتبره العثمانيون والألمان نصرًا كبيرًا تزامن مع بدء العمليات العسكرية(AL Barbr. 1992 . p191) .

كما هاجمت قوات أحمد الشريف، منطقة سيدي البراني واحتلتها، كما احتلوا منطقة السلوم من قبل، وانسحبت القوات البريطانية من المنطقة، نتيجة لهجمات المجاهدين وأخذوا يتهيؤون لخوض المعركة القادمة، كما قامت قيادة هذه القوات بإنذار أبناء القبائل القاطنة في المناطق الحدودية إذا لم يلتزموا بولائهم للحكومة البريطانية، فإنها سوف تقوم بمعاقبتهم ومصادرة ممتلكاتهم والعقوبات سوف تكون صارمة، وربما تصل إلى الإعدام، وقامت بتوزيع هذا الإنذار على جميع الزعماء والأعيان في الأراضي المصرية(الوثائق الفرنسية المجموعة الثالثة، 1996م، ص67) .

السير جون ماكسويل يهدد أحمد الشريف:

قام السير جون ماكسويل بإرسال كتاب إلى أحمد الشريف في 3 ديسمبر سنة 1915م طالبًا فيه بأن يفرج حالاً عن الأسرى الإنجليز، وأن يرسلهم إلى معسكر القوات الإنجليزية، وأن يعمل على إعادة العلاقات الودية مع الإنجليز، وإخراج المستشارين الأتراك والألمان من ليبيا، والذين لاشك في أنهم يجلبون عليكم وعلى بلادكم بلاءً عظيمًا، إلا أنه لم يكن في استطاعة أحمد الشريف أن يجيب رغبة الإنجليز في إخراج نوري باشا والضابط الألماني أوتو مانسمان ورجالهما أو طردهم من ليبيا، وبخاصة بعد أن تحرّش أتباعه ورجاله بالإنجليز مرارًا سواء حدث هذا التحرش على غير علم من أحمد الشريف أو بعلمه (كيلاني، 1996م، ص161) .

وقد هدد الجنرال جون ماكسويل في كتابه هذا أنه إذا أصر أحمد الشريف على اتخاذ خطة عدائية، فإنه عندئذٍ لا يجلب عليه إيطاليا فقط بل فرنسا وإنجلترا ومصر، ويتحمل مسؤولية جميع النفوس التي تضيع في هذا السبيل، ويعرض بلاده للجوع؛ إذ تسد عليهم طرق الزاد والمؤونة برًا وبحرًا، وتحاصر الشواطئ البحرية، ولكن هذه التهديدات أو النصائح كما شاء السير جون ماكسويل أن يسميها بقيت من غير أثر، ولم يطرد أحمد الشريف الضباط العثمانيين والألمان من شرق ليبيا(كيلاني، 1996م، ص161) .

وبعد فشل الحملة التي يقودها جمال باشا على مصر من الحدود الشرقية عبر سيناء

أرسل الجنرال جون ماكسويل خطابًا إلى أحمد الشريف ليحط من عزيمته، وأخبره فيه بأن القوات البريطانية استطاعت صد هجوم القوات العثمانية على قناة السويس، والانتصار عليها، وقد شارك في هذه الحملة العثمانية فيما بين 20000 إلى 30000 رجل، وشارك في الهجوم بشكل فعلي على قناة السويس حوالي 15000 رجل في يوم 2 – 3 من شهر فبراير 1915م على القوات البريطانية التي صدت هذا الهجوم بكل شجاعة، وانتهت المعركة بهزيمة القوات العثمانية في كل المواقع، فقد تم تحطيم جسورهم، كما تم أسر أكثر من 600 أسير وقد تم دفن أكثر من ألف قتيل، أما فيما يخص الجرحى فإن عددهم غير معروف؛ حيث تم إبعاد معظمهم على الجمال ولم تلحق بدفاعاتنا خسائر كبيرة؛ حيث إن عدد قتلانا لم يتجاوز 18 قتيلاً ولم يتجاوز عدد الجرحى 80 جريحًا ومن ثم فإن الحملة على مصر، والتي تم الدعاية لها منذ وقت طويل فشلت تمامًا، وتراجع العدو عبر صحراء سيناء ولا يوجد لهم أثر لمسافة 50 ميلاً عن قناة السويس (Guirk . 2007.pp 297 – 296)

انضام عدد من الضباط والجنود المصريين للحملة:

أسهم العاملان الديني والوطني في انضمام عدد من الضباط المصريين إلى قوات أحمد الشريف، وكان على رأسهم عبد الرحمن عزام، واليوزباشي أحمد أبو شادي ومحمد صالح حرب نائب قومندان مرسي مطروح، وقد سبب انضمام الضابط محمد صالح حرب إلى قوات أحمد الشريف توترًا كبيرًا في صفوف القوات البريطانية، بسبب خوفها

من عمليات الانضمام التي يمكن أن تتبعها القبائل العربية على الحدود الغربية لمصر، وخاصةً قبيلة أولاد علي(296 – 297 .pp 2007. Guirk) .

وقد لعب الضابط محمد صالح حرب دورًا بارزًا في تخطيط العمليات العسكرية وإدارتها بعد انضمامه إلى قوات المجاهدين، وإعلان الثورة ضد الإنجليز في مصر، وقد ذكر محمد صالح حرب الأسباب التي كانت وراء انضمامه إلى قوات المجاهدين، هو إعلان الحكومة البريطانية الحماية على مصر، بالإضافة إلى أن القائد سيسل سنو لم يظهر أي اهتمام بمصير القوة الموجودة في منطقة سيدى براني، وفي منطقة بقبق بعد الانسحاب من السلوم، فقد أرسل القائد سيسل سنو إلى سيدي براني سيارات مدرعة بقيادة الضابط (تويدى Twedei)، أحد الضباط الإنجليز قبل الانسحاب، ثم علم منه الضابط محمد صالح أنه سوف يعود بهذه السيارات إلى منطقة مرسى مطروح تاركًا المصريين والسودانيين الموجودين في منطقة سيدي براني وشأنهم، يدعون أن هؤلاء الجند مسلمون، والأتراك مسلمون، وفي وسعهم جميعًا أن يفعلوا ما يشاءون ضد بعضهم بعضًا هذا مع العلم بأن العثمانيين كانوا يطلقون النار على هذه القوة المرابطة في سيدي براني، وعندما أصر الضابط محمد صالح حرب على ضرورة انتظار الضابط تويدي في سيدي براني حتى يتم انسحاب جميع المصريين، وينجحوا من هجوم قوات المجاهدين عليهم وقتلهم اكتفى القائد سيسل سنو بأن يعد بإرسال الضابط تويدي مرة أخرى إلى سيدي براني بعد عودته بالسيارات المدرعة منه، وكان من الواضح أن يتعذر تحقيق هذا الوعد بعد الانسحاب من السلوم إلى مرسى مطروح، فكان من أثر هذه العوامل أن قرر الضابط محمد صالح حرب الانضمام إلى قوات المجاهدين، وإعلان الثورة ضد القوات البريطانية في مصر(شكري، 1948م، ص 171) .

وكانت القوات المصرية التابعة للضابط محمد صالح حرب موزعة بين مرسى مطروح والسلوم وسيدى براني وواحة سيوة، وكانت قواته الموجودة في مرسى مطروح تتراوح بين خمس وأربعين وخمسين جنديًا، فخرج بهم جميعًا وسط السيارات المدرعة، وكانوا جميعًا ما عدا أحد الضباط، فقط يجهلون نواياه، ولم يشك الإنجليز في أنه كان يعتزم القيام بدورية استطلاع بوصفه نائب قومندان مرسى مطروح فأفسحوا له الطريق، واتجه صوب السلوم ثم أخذ يمر في طريقه بعمد ومشايخ مرسى مطروح ويضمهم إليه، وعند الفجر وصل الجميع إلى دوار عائلة العاصي من قبيلة القنيشات، وهناك جمع الضابط محمد صالح حرب الرؤساء والضباط والمشايخ والعمد وخاطبهم قائلاً :" نقف الآن بين معسكرين أحدهما معسكر العرب والأتراك الذين يقولون أنهم جاءوا ليخلصونا، وقد أقنعني ضميري وواجبي الديني بعدم البقاء مع الإنجليز، وقد خرجت في سبيل الجهاد ضدهم، فمن كان منكم يحرص على حياته أو تلزمه أية مسؤوليات عائلية بالعودة إلى مرسى مطروح فإنني لا أحول بينه وبين العودة، إنما على شريطة أن يترك ما معه من سلاح ومؤونة "(شكري، 1948م، ص 171) .

لم يرغب أحد منهم في العودة؛ بل أبدوا جميعهم تصميمهم على البقاء إلى جانب رئيسهم يعيشون معا ويموتون معًا، وعاهدوا الرئيس على الجهاد، ومن ذلك بدأت الثورة بصورة علنية واستجاب له عربان قبائل أولاد على،

وأصر محمد صالح حرب بإنشاء أول دور (معسكر) للمجاهدين في وادي ماجد، وعلى مسافة عشرة كيلو مترات إلى الجنوب الغربي من مرسى مطروح، ثم استأنف محمد صالح حرب سيره صوب الغرب باتجاه قوات المجاهدين، وعندما وصل إلى منطقة سيدي براني قابله القائد جعفر العسكري بترحاب عظيم، وطلب من محمد صالح حرب أن يذهب إلى السلوم عساه ينجح في التوفيق بين معسكر أحمد الشريف، ومعسكر القوات العثمانية بقيادة نوري باشا، فقد ظل الخصام قائمًا بين المعسكرين، وبهذا استحال على جعفر العسكري ـ كما قال ـ أن يتقدم إلى الأمام خطوة واحدة (شكري، 1948م، ص 174) .

ثم تابع محمد صالح حرب سفره إلى السلوم فقوبل بحماس عظيم واحتفل المعسكران السنوسي والعثماني باستقباله احتفالاً كبيرًا، ووجد محمد صالح حرب في السلوم الوفد الإدريسي السيد محمد الشريف بن عبد المتعال الإدريسي وأعضاء أسرته في ضيق وحرج شديدين، وأخبره أحمد الشريف بتفاصيل خدعة العثمانيين التي أفضت إلى انسحاب القائد سيسل سنو من السلوم ووجد محمد صالح حرب أن اليأس قد بلغ من العثمانيين حدًا بسبب موقف أحمد الشريف منهم، جعلهم يحتفظون بقنابل يدوية صغيرة في جيوبهم استعدادًا لنسف المعسكر إذا انقلب أحمد الشريف عليهم، وباءت مشروعاتهم بالفشل، فبذل محمد صالح حرب قصارى جهده لإقناع أحمد الشريف بالعدول عن موقفه على أساس أن هذا الأخير إذا ظل مصرًا على خطته السلبية حيال تلك الحركات التي يراد بها التخلص من قبضة الإنجليز، ومساعدة دولة الخلافة في حربها ضد العدو، فإن هذا الموقف السلبي لن يفسر لصالحه إطلاقًا؛ بل سوف يتخذه أعداؤه وسيلة لإلحاق الأذى بسمعته في العالم الإسلامي قاطبة، ويظهرونه بمظهر الضالع مع الإنجليز والطليان الممالي لهم ضد بلادهم، علاوة على ذلك فقد أفلت زمام الأمور من يده، وصار واجبه الآن يقتضي إما التقدم وإما الانسحاب إلى الأدوار الخلفية، وترك الميدان حرًا للعثمانيين يعملون ما بدا لهم شريطة أن يكون ذلك بمحض إرادتهم (شكري، 1948م، ص 175) .

استطاع محمد صالح حرب كذلك أن يقنع نوري باشا وصحبه بضرورة الاعتذار لأحمد الشريف عن حادث السلوم ، واسترضائه فطيب نوري باشا خاطر أحمد الشريف، وانتهى الخلاف الظاهر بينهما، وعندما علم محمد صالح حرب باشا أن العثمانيين يبيتون النية على الفتك بأعضاء الوفد الإدريسي عند انسحابهم من السلوم إلى مصر بعد فشل المفاوضات بدعوة أن هؤلاء خونة، وتقع عليهم مسؤولية تأخير الحملة العسكرية واستطاع أن يقنع نوري باشا باستدعاء الكمين الذي يترقبهم في طريق العودة من السلوم، وغادر الوفد السلوم بأمان، ثم تركت قوات المجاهدين السلوم قاصدة منطقة العقبة، ومنها إلى منطقة سيدي براني، ومن ثم بدأت العمليات العسكرية، وكانت أولى المعارك العسكرية التي حدثت في وادي ماجد بين المعسكر الذي أقامه محمد صالح حرب في تلك الجهة وبين القوات الإنجليزية (شكري، 1948م، ص 175).

الإنجليز يرسلون وفدًا لمقابلة أحمد الشريف:

بعد انتهاء معركة بوتونس يناير 1916م وتقهقر قوات المجاهدين وتراجعهم إلى الواحات المصرية أرسل الإنجليز إلى أحمد الشريف وفدًا يرأسه عبد الستار الباسل، حددت مهمته في تقديم مشروع جديد لإنهاء حالة الحرب كفرصة أخيرة ربما لا تتاح لأحمد الشريف في المستقبل، وكانت أهم نقاط تتضمن الانسحاب الفوري من الأراضي المصرية، وطرد مبعوثي الدولة العثمانية من ليبيا أو تسليمهم إلى القوات البريطانية، وصل هذا الوفد إلى ميدان الحرب في المحور الشمالي فوجد أن أحمد الشريف قد انتقل برفقة الضابط محمد صالح حرب إلى الواحات الجنوبية، فقرر عندها اللحاق به، وبعد أن أمضى أيامًا في واحتي سيوة والجغبوب، اجتمع فيها بأحمد الشريف، ودار بينهما حديث، عرض خلاله عبد الستار الباسل الشروط الإنجليزية لوقف الحرب، والتي عرضها الأخير بشكل أزعج أحمد الشريف مما اضطره إلى رفضها، وبذلك فشلت المحادثات(أغويطة، 2003م، ص340) .

إن انزعاج أحمد الشريف من الوفد المصري كان بسبب الأسلوب الذي خاطبه به عبدالستار الباسل؛ حيث طرح شروطًا واشتط في الحديث بشكل لم يكن مقبولاً من أحمد الشريف الذي تعود من محدثيه على أساليب الاحترام المفرط، والتبجيل والتكريم؛ لكن السياسة قد فرضت على أحمد الشريف أن يقبل بفكرة إنهاء الحرب مع الإنجليز، فنجده قد أرسل غداة لقائه بالوفد المصري وتحديدًا في إبريل 1916م رسالة إلى رئيس الوزراء المصري حسين رشدي أكد في مستهلها على أن الخلاف الذي وقع بينه وبين الحكومة المصرية بفعل من أسماهم بأوباش الناس (العثمانيين) مضر بمصلحة الجميع، وأبدى رغبته في صلح مع الحكومة المصرية، يقوم على أساس متين يضمن الراحة لليبيين والمصريين، ويسهم في حقن الدماء، ولتحقيق ذلك طلب أحمد الشريف من حسين رشدي إرسال مندوبين عن الحكومة المصرية للتفاوض معه، ووضع أساسيات ذلك الصلح بما يعزز العلاقة الودية بين الجانبين(أغويطة، 2003م، ص340) .

غير أن الحكومة البريطانية ضربت بمبادرة أحمد الشريف عرض الحائط خاصة بعد موقفه من الوفد المصري ورئيسه عبد الستار الباسل وانصياعه في السابق لفكرة الاشتراك في حرب الإنجليز، لذا فقد أجرت الحكومة البريطانية اتصالات أخرى مع إدريس السنوسي الذي أصبح زعيمًا لحركة الجهاد؛ حيث أرسلت إليه الوفود من مصر تحت رئاسة الشريف الإدريسي ونجله محمد ميرغني، وأجرت معه عدة لقاءات، تمخض عنها إجراء مباحثات مباشرة بين إدريس السنوسي، والحكومة البريطانية، وتوقيع انفاقية الزويتينة مايو 1916م والاتفاق على طرد كل من يكدر صفو العلاقات بينهما خارج ليبيا ويقصد من وراء هذا البند أحمد الشريف ومبعثو الدولة العثمانية، وفي المقابل تعترف إيطاليا بمحمد إدريس السنوسي أميرًا على برقة، مع منحه بعض المزايا المادية(سعيد، 1938م، ص ص 304 – 309) .

الإنجليز يهددون أحمد الشريف بمغادرة واحة الجغبوب:

إن فشل حملة أحمد الشريف على الإنجليز في مصر كانت كسبًا ونفعًا كبيرين للإيطاليين؛ لأنها حطمت عزيمة قوات المجاهدين في المقاومة، وزعزعت قيادة أحمد الشريف وأشعرتها بضعف إمكانياتها الحربية وقدرتها القتالية،

ومهدت السبيل لظهور أنصار الصلح والتفاوض الذين قادهم محمد إدريس السنوسي على ذلك الدرب (رايت ، 1993م، ص 131 – 132) .

وفي أثناء إقامته في الجغبوب أرسل إليه إدريس السنوسي رسالة يعلمه فيها بأنه جاءه إنذار من الإنجليز نصه:" إذا لم يغادر أحمد الشريف، ومحمد صالح حرب واحة الجغبوب في خلال أيام محدودة، فإنهم سيقومون بتدمير الواحة، وتحطيم مقام السيد محمد علي السنوسي الموجود هناك ، وأن الإنجليز يحترمون قداسة هذه البقعة، وأنهم يوسطونه لمنع هذه الكارثة ، بأن يعمل على ترحيل قوات المجاهدين منها "(يحي،1981م، ص33) .

أحدثت هذه الرسالة في نفس أحمد الشريف قلقًا شديدًا؛ لأنه خشي أن ينفذ الإنجليز تهديدهم، فقرر مغادرة الجغبوب إلى الواحات (جالو ، أوجلة) رغم صعوبة السفر، وعدم توفر الإمكانيات لقواته، بالإضافة إلى سوء حالتهم؛ إذ إنهم منهكو القوى، وفي أشد درجات التعب الجسمي والنفسي، وقبل أن يغادر أحمد الشريف الجغبوب فإنه خيّر الجميع في حرية الذهاب إلى أهلهم ومناطقهم، وذلك لتفهمه لظروفهم، وشكر لهم مواقفهم وشجاعتهم، وبذلك غادر بعض المجاهدين الجغبوب لأهلهم ومناطقهم، بينما بقي بعضهم الآخر معه (هويدي، 1988م، ص122) .

غادر أحمد الشريف الجغبوب بمن تبقى معه من القوات متجهًا إلى المنطقة الغربية بعد أن منع من دخول المنطقة الشرقية، بسبب اتفاق الزويتنة الذي وقعه إدريس السنوسي مع الإنجليز، مما أدى إلى تفرق المجاهدين من حوله واتجه أحمد الشريف بمن تبقى معه إلى منطقة سلطان بخليج سرت، ثم غادرها إلى منطقة العقيلة التي استقر بها حتى رحيله إلى إسطنبول في سبتمبر 1918م، وبذلك بدأت مرحلة جديدة من مراحل علاقة بأحمد الشريف بالسلطات البريطانية(الطوير، وسيد، 1988م، ص130) .

النتائج:

أولاً: أجرى أحمد الشريف فور وصوله إلى منطقة السلوم مباحثات مكثفة مع كبار موظفي إدارة الحدود المصرية؛ أكد من خلالها للإنجليز أن قدومه إلى السلوم لا يقصد من ورائه إلا تنظيم أمور المجاهدين؛ بما يمكنهم من مواصلة الحرب ضد القوات الإيطالية، وبأنه لا يهدف إثارة الاضطرابات في المنطقة الحدودية .

ثانيًا: أدرك الإنجليز أن أحمد الشريف لم يكن مواليًا للعثمانيين؛ بسبب تنازلهم عن ليبيا في أكتوبر 1912م ، تاركين المجاهدين وحدهم في مواجهة القوات الإيطالية، كذلك فإن الإنجليز لم يقوموا حتى ذلك الحين بأي عمل عدواني ضد المجاهدين، وتمسكوا بموقف الحياد خلال الحرب الليبية الإيطالية؛ بل سمحوا للمجاهدين بمرور الامدادات والمؤن والاحتياجات من مصر إلى ليبيا، وحرص الإنجليز على أن تظل العلاقات بينهم وبين أحمد الشريف مبنية على روح الود والصداقة مما دفع السيد جون ماكسويل القائد العام للجيوش البريطانية بمصر على مجاملة أحمد الشريف كثيرًا، ومراسلته دائمًا وإهدائه بعض الكتب، والتقرب إليه بكل الوسائل اتقاءً لأية غارات قد تقوم بها قواته المسلحة.

ثالثًا: نفاد صبر مبعوثي القيادة العثمانية وخاصةً نوري باشا، وجعفر العسكري، اللذين يئسا من إقناع أحمد الشريف بجدوى الهجوم على مصر، ومن ثم اتجهت النية إلى الخلاص منه بإعداد انقلاب ضده وتفجير خيمته، وتنصيب شخص آخر من العائلة السنوسية، أسهل انقيادًا لمخططات منظمة تشكيلات مخصوصة، غير أنه تم اكتشاف هذه المؤامرة .

رابعًا: تخوف الإنجليز من انضمام أحمد الشريف إلى دعوة الجهاد العثمانية ضدها بشكل يؤثر على وضعها في مصر لما له من مكانة كبيرة هناك، كما أنها تخشى أن يؤدي تحركه نحو حدود مصر الغربية إلى تهديد سلامة وضعها الحربي، غير أن دعوة الجهاد الذي أعلنته الدولة العثمانية لم تتوفر فيه الشروط التي نصّ عليها القرآن الكريم، وهكذا فإن الاعتبارات السياسية والدينية لم تكن لتدل أحمد الشريف إلا على طريق واحد فحسب وهو البقاء خارج حرب لم يكن له فيها ناقة ولا جمل .

خامسًا: استمرار الإنجليز في معالجة الموقف على الحدود المصرية الليبية بالأساليب الدبلوماسية وابتعدوا عن العنف تجنبًا للاصطدام، وتقليلاً لعدد خصومهم وأعدائهم فاتصلوا بالسلطان حسين كامل، وأطلعوه على ما جرى وراء الحدود، وطلبوا منه أن يعمل للإصلاح والتوفيق وإقناع أحمد الشريف بالتزام الحياد وعدم الانقياد وراء دسائس العثمانيين والألمان الذين ما جاءوا لخدمة العرب والمسلمين، وإنما جاءوا ليضحوا بهم وليلقوا بهم إلى التهلكة، كما أرسل السير جون ماكسويل كتاب إلى أحمد الشريف طالبه فيه بأن يفرج عن الأسرى الإنجليز، وأن يرسلهم إلى معسكر القوات الإنجليزية، وأن يعمل على إعادة العلاقات الودية مع الإنجليز، وإخراج العثمانيين من ليبيا، والذين لاشك في أنهم يجلبون عليكم وعلى بلادكم بلاءً عظيمًا.

سادسًا: لم يكن في استطاعة أحمد الشريف أن يجيب على طلب الإنجليز بإخراج نوري باشا ورجاله أو طردهم من ليبيا، مما اضطر الإنجليز إلى تهديد أحمد الشريف على اتخاذ خطة عدائية ضده، وإنه عندئذٍ لا يجلب عليه إيطاليا فقط بل فرنسا وإنجلترا ومصر، ويتحمل مسؤولية جميع الأرواح التي تضيع في هذا السبيل، ويعرض بلاده للجوع؛ إذ تسد عليهم طرق الامدادات برًا وبحرًا، ومحاصرة الشواطئ البحرية، غير أن هذه التهديدات أو النصائح كما شاء الإنجليز أن يسموها بقيت من غير أثر، ولم يتمكن أحمد الشريف أن يطرد الضباط العثمانيين من شرق ليبيا.

سابعًا: تألم أحمد الشريف من تصرف العثمانيين ومحاولاتهم المتكررة لقطع العلاقات بينه وبين الإنجليز في وقت لم يكن يراه مناسبًا لقطعها، وعندما قامت الحرب فعليًا واشتد به الحرج عمد إلى استشارة جماعة من الإخوان السنوسيين فيما يجب عليه فعله، ولما كان هؤلاء ضالعين مع العثمانيين في خططهم، فقد أشاروا عليه بالانضمام إلى العثمانيين في هذه الحرب حتى لا يذاع عن أحمد الشريف أنه على وفاق مع الإنجليز، وأنهم قد أعطوه مالاً، فاضطر إلى العمل بنصيحتهم منعًا لهذه الشبهة.

ثامنًا: فضلت الإدارة البريطانية التعامل مع القيادة الجديدة لحركة الجهاد المتمثلة في شخص إدريس السنوسي ورأت بأنه البديل المناسب لابن عمه أحمد الشريف، لما تبين لها من مرونة في شخصه وتفضيله الحلول السلمية الدبلوماسية على الحرب، وعقدت معه اتفاقية الزويتينة مايو 1916م، انتهت بموجبها الحرب على حدود مصر الغربية .

تاسعًا: مغادرة أحمد الشريف ليبيا إثر توقيع اتفاقية الزويتينة التي كان من أهم بنودها إبعاد كل من يعكر صفو العلاقات البريطانية السنوسية من المنطقة الشرقية، وكان على رأس هؤلاء أحمد الشريف الذي غادر ليبيا متوجهًا إلى الدولة العثمانية بعد منعه من الدخول إلى المنطقة الشرقية، وبدأت بذلك مرحلة جديدة من مراحل حياة المجاهد أحمد الشريف

قائمة المصادر والمراجع

1- ارسلان شكيب ، 1973م ،حاضر العالم الإسلامي، م2، ج3، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
2- الأشهب ، محمد الطيب ، 1947م ، برقة العربية أمس واليوم ، القاهرة ، مطبعة الهواري.
3- اغويطة ، مفتاح بلعيد ، 2003م ، الموقف الشعبي المصري من حركة الجهاد في ليبيا 1911 – 1931م، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .
4- الحرير ، عبد الموالي صالح ، 1979م ، " منظمة تشكيلات مخصوصة السرية وأدوارها في حركة النضال الوطني (1911 – 1918م) " ، مجلة البحوث التاريخية ، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد الأول ، السنة الأولى.
5- الحرير، عبد المولى صالح ، 1983م ، " العلاقات بين أحمد الشريف ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد الليبي " مجلة الشهيد ، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الرابع.
6- رايت جون ، 1993م ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، ترجمة : عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، طرابلس، مكتبة الفرجاني .
7- السعدون ، خالد حمود ، 1999م، الجهاد خلال الحرب العالمية الأولى ، طرابلس ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي .
8- سعيد ، أمين ، 1938م ، الدولة العربية المتحدة ، القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه .
9- شكري ، محمد فؤاد ، 1948م ، السنوسية دين ودولة ، دار الفكر العربي .
10- الشيخ ، رأفت ، 2004 م ، تاريخ العرب الحديث ، تاريخ العرب الحديث ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .

11- الطوير ، محمد أمحمد ، و سيد ، وعبدالعزيز 1988م ، تاريخ الجهاد في ليبيا ضد الغزو الإيطالي 1911-1931م ، القاهرة ، مركز الحضارة العربية .

12- كوغلو ، اورخان ، 1987م ، " أحمد الشريف السنوسي(1923- 1931م) وفقاً للوثائق البريطانية"، ترجمة: الهاشمي محمد بالخير ، مجلة المحفوظات ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .

13- كيلاني ، محمد سيد ، 1996م ، الغزو الإيطالي على ليبيا والمقالات التي كتبت في الصحف المصرية ما بين(1911 – 1917م) ، طرابلس مكتبة الفرجاني .

14- مدلل ، أحمد عطية ، 1986م ، " دراسة وثائقية في تأثيرات الحرب العالمية على حركة الجهاد الليبي في الجزء الشرقي من ليبيا نوفمبر 1914م " ، مجلة الشهيد ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، العدد السابع والثامن.

15- مدلل ، أحمد عطية ، 1989 م ، المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها ، طرابلس ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي .

16- مذكرات ، أنور باشا في طرابلس الغرب ، 1979م ، ترجمة: عبدالمولى صالح الحرير ،طرابلس ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي .

17- هويدي ، مصطفى علي ، 1988م ، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي .

18- هويدي ، مصطفى علي ، 1988م ، " رحيل أحمد الشريف إلى تركيا "، مجلة الشهيد، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد التاسع .

19- الوثائق الفرنسية المجموعة الثانية ، 1996م ، برقية من الملازم سان كينتان إلى وزارة الحربية قسم أفريقيا بباريس بخصوص الرسالة التي وجهها الجنرال ماكسويل لأحمد الشريف ، ترجمة: خالد زكي ثابت ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .

20- الوثائق الفرنسية المجموعة الثالثة ، 1996م ، برقية من الوزير المفوض الفرنسي بالقاهرة إلى وزير خارجيته حول انسحاب القوات الإنجليزية والمصرية من السلوم والبراني أمام ضغط المجاهدين ، وطلب الإنجليز من القبائل القاطنة بالمنطقة تجديد ولاءهم ، ترجمة: خالد زكي ثابت ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .

21- يحيي ، جلال ، 1981م ، تاريخ المغرب العربي الكبير ، ج4 ، بيروت .

1- AL Barbr Aghil m . 2007 . Economics of Colonialism: The Italian Invasion For Studies Libyan Center of Jihad And The Libyan Resistance 1911 – 1920 : solo – Economic Analysis Tripoli 1992 .

2- Guirk . 2007 . Russell Mc The Sanusis Little War The Amazing Story of a Forotten Conflict in the Western Desert, 1915 – 1917 Arabian Publishing.